ذلك ولقد حاول جمع بمختلف المحاولات أن يجعلوا هذه الرؤية التي تطلبها موسى إدراكاً بالبصر أم بالبصيرة، دون إبقاء لكيان من المدرك إلّا أن يدركه.

فمن قائل غائل إن الله لا يعجزه أمر لمكان قدرته الطليقة الحقيقية لإجابة أي أمر وسؤل، فهنا ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ له جانبان اثنان، أرني بترفيعي إلى مكانة الرؤية، أم تنزيلك إلى مكانتي في الرؤية، وهما مستحيلان ذاتياً أو نسبياً، ففي الرؤية البصرية يعني الترفيع التجريد الطليق عن حالة الإمكان لكي يتمكن من رؤية المطلق، ويعني التنزيل تجريده عن التجرد حتى تتسنى الرؤية قضية المجانسة في الجسمانية والمحدودية، وفي الرؤية المعرفية القمة أن يترفع إلى تلك القمة أو يتنزل ربنا إلى هذه المحدودية المعرفية، فالأول مستحيل نسبياً ما دام موسى هو موسى، والثاني مستحيل ذاتياً إذ لا يتغير ربنا سبحانه وتعالى بأي غيار وبأي معيار.

ذلك وكافة المحاولات الفلسفية أو العرفانية هي محاولات خرفانية إلّا ما أشرنا إليه على ضوء الآية وما يفسرها من آيات.

وفي حقل المعرفة القمة التي هي مرغوبة لكلِّ عارف ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ هي كلمة واحدة لكافة المقربين إلّا خاتم النبيين وأول العارفين والعابدين محمد ﷺ وقد يُروى أنه لما قال موسى عليه السلام: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ كشف الحجاب وأبرز له الجبل وقال انظر فنظر فإذا أمامه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي محرمين ملبين كلهم يقول: «أرني أرني» (٤٣) وفي الحديث «ما رأيت شيئاً إلّا وقد رأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه» (٤٤) و«لم أعبد رباً لم أره» «لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان» «. . . وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون» (٤٥)، و«كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب» (٤٦).

ذلك، وفي نظرة أخرى إلى الآية ﴿قَالَ رَبِّ﴾ لمحة لاستدعاء ما لم يصل هو إليه وليس يصله بنفسه فاستدعاه تعالى أن ينعم عليه في تلك الرؤية المعرفية بنعم.

ثم ﴿أَرِنِي﴾ دون متعلّق من «نفسك وما أشبه» تحاش أدبي أمام ربه سبحانه، وكأنه يستدعيه ما يراه صالحاً من درجات الرؤية غير الحاصلة له، وكما يراه ربه.

ومن ثم ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ رباً، نظراً يناسب محتدك الربوبي، فقد يقرب أنه كـ«ناظرة» في ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾[١] نظرة بوجه القلب الفؤاد.

وحين يؤنّب نوح عليه السلام بعرضه: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾[٢] عرضاً - ولمّا يسأل - بقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٣] ولا يؤنب موسى بسؤاله الرؤية، فقد نتأكد قطعياً أنه لم يكن سؤالاً محظوراً في أصله، به مس من كرامة ربه، وإنما سأل فوق قدره، فأجيب بمثال فوق قدر للجبل.

ذلك، والرؤية هي أعمّ من رؤية البصر، بل البصيرة فيها أحرى لأنها أمكن وأقوى كـ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾[٤] و﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾[٥] ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾[٦].

وعلى أية حال لأن الرؤية هي الإدراك أو ما دونه وهما يعمان رؤية

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢، ٢٣.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٥.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٦.
(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٥) سورة النجم، الآية: ١١.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٩.

البصر والبصيرة، لذلك ليست لتختص برؤية البصر ولا رؤية البصيرة اللّهم إلّا بكلّ بقرينة، ولأن إفراد النص ﴿أَرِنِي﴾ دون «أرنا أو - أرهم» يرينا أن موسى عليه السلام إنما تطلب الرؤية لنفسه، فقد نتأكد أنها كانت رؤية معرفية بصيرة، دون المعاينة بصراً، إذ لو كانت بصراً لكان يجمع:

«أرنا» حيث الأصل في ذلك التطلبة الحمقاء هم قومه دونه، أم وإذا شملت الرؤية البصرية فلماذا سألوها وأذن الله، وإنما أفرد لكي يعرفوا بسلبيتها عن نفسه سلبها عنهم بأحرى، ولقد كان سؤال الرؤية البصرية بإذن الله حملاً عليه ثقيلاً عله أثقل من حمل ابتلاء إبراهيم بذبح ولده إسماعيل.

ذلك، وهنا ﴿أَرِنِي﴾ دون «أرنا - أو - أرهم» كما بينا، تجعل الأصل في السؤال الرؤية الممكنة الصالحة وهي المعرفة القمة، وعلى هامشها الرؤية المسؤولة الحمقاء، فحين سمع - أم وسمعوا ـ: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ . . .﴾ تأكدوا من عدم إمكانية رؤيته المسؤولة لهم، فحين لا يستجاب موسى الرسول في تطلب هكذا رؤية فبأحرى هؤلاء البعيدون.

فقد جمع موسى في سؤاله بين مستحيل الرؤية بناء على طلبهم بإذن الله، وبين الرؤية الممكنة لمن سوى الله في قمتها، فلم يستقل في سؤاله كلًّا منهما لوحدها، تحاشياً عن محظور، ولكنه هيماناً لمعرفة علياً، وتطبيقاً لأمره تعالى بسؤاله الرؤية المقترحة، يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ فإن فيه جماع الأمرين الأمرين، ثانيهما أمر من الأوّل لأنه سؤال الجاهلين، وأولّهما يحمل رجاء إذ لم يرهو من نفسه أن يصل بجهاده وجهوده إلى المعرفة القمة المحمدية، فتطلب من ربه أن ﴿أَرِنِي﴾ فجاء الجواب كلمة واحدة ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أنت كموسى على محتدك المحدد بالمعرفة الموسوية، ولا هم أياً كانوا بالرؤية البصرية.

وقد ترتسم رؤية الرب في مربع: ١ - مستحيلة ذاتياً ببصر العين

المعاينة، ٢ - أم ببصيرة مدركة محيطة بالرب، ٣ - أو مستحيلة نسبياً كالرؤية المعرفية ما فوق الطاقة والمقدرة المقررة لمن دون المعصومين عليهم السلام. ٤ - ثم ممكنة مأمور بها كأصل المعرفة، وقد تطلب موسى لنفسه الرؤية القمة التي هي فوق كيانه المعرفي، وعلى هامشها الرؤية البصرية المقترحة من قومه فجاء الجواب ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ والأصل رؤيته الخاصة، وهي المناسبة لـ ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ. . .﴾ دون المستحيلة، فإنها مبرهنة البطلان والاستحالة دون حاجة إلى برهنة حسية.

ذلك، فلا موقع لعرفانيات خرفانيات وفلسفيات تتعدى عن طور المعرفة الصالحة إلى خرافة الحلول، أو الوحدة الحقيقية للوجود خالقاً ومخلوقاً وما أشبه من هذه الهرطقات البعيدة عن العقلية والفطرة السليمة، وعن نصوص الكتاب والسنة. فثالوث الصلاحات المنطقية والفلسفية والعرفانية، هي خارجة عن دور معرفة الله الصالحة[1].

(١) من قيلاتهم الغيلات الويلات «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء» توحيداً بين الحقيقة البسيطة الإلهية وكافة المركبات الخلقية! ويقول ابن العربي: «سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها» اعتباراً أنه التوحيد الحقيقي وكما يعتبر الثالوث عند المسيحيين هو التوحيد الحقيقي المعبر عنه بتوحيد التثليث ويقول: فإن قلت بالتشبيه كنت مشبهاً وإن قلت بالتنزيه كنت معطّلاً وإن قلت بالأمرين كنت مسوداً وكنت إماماً في المعارف سيداً.
ويقول صدر الدين القونوي: «فقل الله وما سواه عدم بحت» وعلى ضوء وحدة حقيقة الوجود والموجود يقولون ما يعنيه: اگر مسلم بدانستى كه بت چيست يقني كردى كه دين در بت پرستى است.
ويقول ابن العربي «إن الله شاء أن يعبد في كلّ صورة» وقال في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: ٢٣] بأن: «هذه قضاوة تكوينية، أي واقع الأمر كذلك، فعبدة الأوثان والأصنام عبدة الله» وقال أيضاً: إن فرعون قد غرق في بحر التوحيد، وقال في الفص الهاروني من كتاب فصوص الحكم: إن غضب موسى على هارون إنما كان لأجل منع هارون بني إسرائيل عن عبادة العجل، وعن إلقائه التفريق بينهم حيث كانوا عبدة الله، فلهذا أخذ موسى بلحية هارون!.

ذلك، فليس التدلي المعرفي انمحاء الذات المحمدية عن بكرتها أو اتحادها بذات الله، أو تبدلها بها، فإن تبدّل الممكن بالواجب قوساً صعودياً، كتبدل الواجب بالممكن قوساً نزولياً، كلّ منهما تجاف عن كيانه ممكناً أو واجباً، والتجافي غير التبدل، والتبدل تناقض حين يراد منه التحول على حالته إلى الحالة الأخرى وانمحاء حيث يراد زوال كل وحدوث الآخر.

إنما هي غاية المعرفة الممكنة بإزالة كافة الحجابات تفاضلاً دون إزالة حقيقية، فحين يتغافل الإنسان عن كلِّ شيء يتجلى له ربه كما يصح ويمكن.

فلا يتصاعد الخلق إلى كيان الخالق، وكما لا يتنازل الخالق إلى كيان الخلق. وكلّ ما في الدور هنا تقرب الخلق إلى الخالق معرفة وعبودية، دون وصول أو اتصال أو فناء حقيقي، اللّهم إلّا التناقل القاصد عن كافة الحجابات الممكنة الزوال.

ذلك، وعلى رغم البراهين الفطرية والعقلية ونصوص الكتاب والسنة نرى مختلقات توراتية - هي من مصادر روايات الرؤية البصرية - تقول:

«إن الله خلق آدم على صورته كما في (التكوين ٥: ١: ٣)» هذا كتاب مواليد آدم. يوم خلق الله الإنسان على شبه الله عمله. ذكراً أو أنثى خلقه وباركه ودعا اسم آدم يوم خُلِق».

وما يُروى عن النبي ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته» هي بين مقطعة ومأولة[1] ذلك، والرؤية البصيرة - إضافة إلى جسمانية المرئي - هي

(١) ففي التوحيد والعيون بإسناده عن الحسين بن خالد قال قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله ﷺ! إن الناس يروون أن رسول الله ﷺ قال: إن الله خلق آدم على صورته! فقال عليه السلام: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث، إن رسول الله ﷺ مرّ برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك ووجه من يشبهك، فقال ﷺ: «يا عبد الله =

بحاجة إلى فاصل الهواء، وكما يُروى عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قوله: «لا تجوز الرؤية ما لم تكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء بين الرائي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان في ذلك التشبيه، لأن الأسباب لا بدّ من اتصالها بالمسببات»[(١)].

= لا تقل هذا لأخيك فإن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته» وفيه عن علي عليه السلام مثله، وروى الزهري عن الحسن أنه كان يقول: مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برجل من الأنصار وهو يضرب وجه غلام له ويقول: «قبح الله وجهك ووجه من يشبهك»، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «بئس ما قلت، فإن الله خلق آدم على صورته».

ذلك ومن تأويله ما رواه الصدوق في التوحيد عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروون أن الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته؟ قال: هي صورة محدّثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه...

(١) مشكلات الأخبار (١: ١٩٨) للسيد عبد الله شبّر.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ
ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ
شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟
بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ
فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟
سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ
خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟
ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن
لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ
مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ
رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ
ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ
ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ

عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـَٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

﴿قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَـٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾:

هنا طمأنة لخاطر موسى المحروم عن الرؤية القمة المعرفية بـ﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ لا على المرسلين ككلّ ﴿بِرِسَـٰلَـٰتِى﴾ التي تحملها إلى الناس ﴿وَبِكَلَـٰمِى﴾ إياك، وذلك حدّك الذي حددته لك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ دون ما ليس لك ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ ما آتيتك من الرزق المقسوم، فلا تحزن ولا يضق صدرك بحرمانك عن تلك الرؤية القمة، واكتف بما أُعطيت، وكن من الشاكرين الله عليه.

﴿ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ...﴾ لـ«إني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك...»[1].

(١) نور الثقلين ٢: ٦٧ في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يا موسى أتدري لِمَ اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا رب ولم ذاك؟=

والاصطفاء هو استخلاص الصفوة الصالحة بين الناس ومن أشبه، وهكذا يكون كلُّ رسل الله أنهم مصطفون على كلِّ الناس الذين هم أرسلوا إليهم، من مرسلين ككلّ مثل خاتم النبيين ﷺ أم نبيين إسرائيليين ومن سواهم من المكلفين أجمعين كموسى عليه السلام.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾:

﴿ٱلْأَلْوَاحِ﴾ هنا هي ألواح التوراة، ثم ﴿وَكَتَبْنَا﴾ هي كتابة ربانية كما الكلام رباني، فلم يكن هنا وهناك وسيط غير رباني في الكتابة والكلام، فقد «كلمه ربه» وكتب ﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ وفيه ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ تحتاجه الأمة التوراتية من شرعة ﴿مَّوْعِظَةً﴾ هي جانب العظة التوراتية ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ من الأحكام وسائر المعارف الربانية لدور الشرعة التوراتية ﴿فَخُذْهَا﴾ ما كتبناها ﴿بِقُوَّةٍ﴾ إيمانية رسولية ورسالية علمية وعقيدية وعملية ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ وكلّها الحسنى لردح الزمن الرسالي التوراتي ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ هنا ويوم الدين، والفاسقون هنا هم المتخلفون عن التوراة، المستكبرون أمامها، وترى كيف ﴿يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾؟ وهي كلها الحسنى!.

هنا ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ قد تعني أحسن قوة، أن خذوها بأحسن قوة فإنها أقرب

= قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يا موسى...

يا موسى إنك إذا صلّيت وضعت خدك على التراب - أو قال - على الأرض، وفيه عن علل الشرائع بإسناده إلى محمد بن سنان عن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن موسى عليه السلام احتبس عنه الوحي أربعين أو ثلاثين صباحاً، قال: فصعد على جبل بالشام يقال له: أريحا فقال: يا رب إن كنت حبست عني وحيك وكلامك لذنوب بني إسرائيل فغفرانك القديم، قال: فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى بن عمران أتدري لِمَ اصطفيتك لوحيي ولكلامي دون خلقي؟ فقال: لا علم لي يا رب، فقال: يا موسى إني اطلعت إلى خلقي اطلاعة فلم أجد في خلقي أشد تواضعاً لي منك فمن ثم خصصتك بوحيي وكلامي من بين خلقي قال: وكان موسى عليه السلام إذا صلّى لم يتنفل حتى يلصق خده الأيمن بالأرض والأيسر.

مرجعاً وأصلح معنى، وهنا ﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ دون موسى فإنها له ﴿بِقُوَّةٖ﴾ فإن قواتهم كانت مادية ناحية منحى الشهوات، وأما موسى فـ ﴿بِقُوَّةٖ﴾ رسولية ورسالية عاصمة عن كل زلة وعلة.

أم تعني أحسن أخذة، دون أن يأخذوها علمياً ويتركوها بغيره، أم يأخذوها عقيدياً ويتركوها عملياً، فهي إذاً أخذة شاملة كاملة تحلّق على كلّ واجهات التوراة علمياً وعقيدياً وتطبيقياً ودعائياً.

هذا ومن ﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ هو أحراها بالأخذ في دوران الأمر، ففي الواجبات أوجبها، وفي المندوبات أندبها، ثم في المحرمات تركاً لها أشدها وكذا في المرجوحات، ومن ثم فيما يتقرب به إلى الله على ضوء شرعة الله يأخذوا بأشقها فإن أفضل الأعمال أحمزها.

وباحتمال خامس القصد من أحسنها كلّها، لأن كلها هي الحسنى فهي من إضافة الشيء إلى نفسه، فموعظة التوراة وتفصيلها لكلّ شيء، هما أحسن مما في سواها من كتابات الوحي على مدار الرسالات حتى اختتام شرعة التوراة.

ثم الأحسن المطلق هو وحي القرآن: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾[1].

ومن الفوارق بين التوراة والقرآن أن التوراة ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾: بعضاً منهما، والقرآن ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ كما أن رسول القرآن هو شهيد الشهداء رسولياً ورسالياً: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[2] فـ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.